المُناجى

إن المناجاة لله ـ سبحانه ـ تختلف باختلاف درجات الناس الروحية، وهى تتناسق عند كل شخص مع درجته فى معراجه إلى الله سبحانه وتعالى.

إن مناجاة الذين بدءوا معراجهم إلى الله تعالى عن طريق الخطوة الأولى وهى التوبة إنما تكون فى جو:

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(١).

تكون فى جو هذه الآية بمعناها المألوف، أى أنه بعد ارتكاب المعصية يحاول إزالتها أو إزالة آثارها بالتوبة الصادقة.

ونقول: «بمعناها المألوف»؛ لأن هذه الآية الكريمة يقولها المرتكب للمعصية، فتكون بمعنى، ويقولها الصالحون فيتلوَّن معناها بلون آخر، ويقولها الصدِّيقون الذين لا يرتكبون المعاصى، وذلك لأنهم صدقوا مع الله واستقاموا على الطريقة، فيأخذ المعنى شكلاً آخر.

ويقولها الأنبياء والمرسلون، فلا يكون بينها وبين المعصية المألوفة صلة من قريب أو بعيد.

لقد طلب أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ شيئاً من الدعاء ينتفع به، فعلَّمه رسول الله ﷺ الدعاء الآتى:

(١) سورة الأعراف: ٢٣.

«**اللهمَّ إنِّى ظلمتُ نفسى ظلماً كثيراً** (وفى رواية : كبيراً) **ولا يغفرُ الذنوبَ إلا أنتَ فاغفرْ لى مغفرةً مِنْ عِنْدِكَ ، وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم** ».

وهذا الدعاء إنما هو دعاء من جو التوبة، ولكنه على لسان أبى بكر رضي الله عنه لا يمتُّ بسبب ـ من قريب أو من بعيد ـ إلى جو المعاصى التى تحدث من العامة أو الجهلة.

ورسول الله ﷺ يقول:

«**يا أيُّها الناسُ ، تُوبوا إلى اللهِ واسْتَغْفِرُوه ؛ فَإنِّى أتوبُ إليهِ وأستغفرهُ فى اليوم مائةَ مَرَّة** ».

وتوبة رسول الله ﷺ ، إنما هى توبة عبادة، تتصل بكثرة الحسنات، ولا صلة لها بالسيئات.

ولقد كان من دعاء رسول الله ﷺ ـ كما روى الشيخان ، بسندهما ـ عن أبى موسى عبد الله بن قيس رضي الله عنه :

« **اللهمَّ اغفرْ لى خَطيئتى وجَهْلى، وإسْرَافى فى أمْرى ، وما أنتَ أعلمُ به منِّى. اللهمَّ اغفرْ لى جِدِّى وهَزْلى، وخَطئى وعَمْدى، وكل ذلك عندى. اللهمَّ اغفرْ لى ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ ، وما أسررتُ وما أعلنتُ ، وما أنتَ أعلم به منِّى ، أنتَ المقدِّم وأنتَ المؤخِّر ، وأنتَ على كل شىء قدير**».

وهذا الدعاء من رسول الله ﷺ ، وأمثاله، إنما هو عبادة لله سبحانه فى صورة من صور العبادة، وهى صورة التذلل والعبودية، والابتعاد عن كل صور الفخر والكبرياء، وادِّعاء الكمال.

وجو التوبة ـ بحسب هذا الشرح الذى شرحناه ـ يختلف باختلاف

الذين يناجون الله، ويتسامى هذا الجو شيئاً فشيئاً، ويسير من التوبة عن المعاصى إلى التوبة التى هى عبودية ، تلك التى إذا أكثر الإنسان منها أدخلته فى رحاب حب الله له :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾(١).

ومناجاة أهل الورع إنما هى جو :

« اللهمَّ أغْنِنَا بحلالكَ عن حرامكَ » .

وهذا الدعاء بمعناه الحرفىٍّ هو من سمات أهل الورع، وعادة يكون فى النواحى المادية، ولكن معناه أيضاً يخضع لألوان كثيرة من المعانى بحسب القائلين، ويتسع المعنى فيشمل الوجدانيات : خطرات النفس وهمسات الضمير .

ومناجاة الزاهدين إنما تكون تضرُّعاً إلى الله سبحانه حتى يُيَسِّر لهم التحقق بمعنى الآية الكريمة :

﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾(٢).

فإذا وجد التحقق بمعنى الآية الكريمة وجد الزهد .

وقد يكون من مناجاة الزاهدين طلب السعة فى الرزق مثل :

« اللهمَّ وسِّعْ علىَّ رزقى فى دنياى ، ولا تَحْجُبْنِى بها عن أُخْراى » .

ولكن هذا الدعاء يكون فى جو :

﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾(٣).

(١) سورة البقرة : ٢٢٢ .
(٢، ٣) سورة الحديد : ٢٣ .

وأبو الحسن الشاذلى الذى كان يقول هذا الدعاء، كان يقول أيضاً عن الدنيا:

« **اللهمَّ اجْعَلْها فى أيدينا ولا تَجعلْها فى قلوبنا** » .

وهذا يتماشى مع جو الآية الكريمة.

ولا يتنافى الغنى والزهد - إذن - حينما يتحقق الإنسان بالجو الشريف للآية القرآنية الكريمة.

ومناجاة المتوكلين تكون فى جو الآية الكريمة:

﴿ **رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** ﴾(١).

وهم يوقنون بالحقيقة القرآنية:

﴿ **وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** ﴾(٢).

وأجواء المناجاة لا تكاد تُحَدُّ:

منها جو مؤمن آل فرعون، وهو جو:

﴿ **وَأُفَوِّضُ أَمْرِى إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ** ﴾(٣).

وثمرة هذا الجو إذا تحقق به الإنسان هو ما ذكره الله تعالى بقوله:

﴿ **فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ** ﴾(٤).

ومنها الجو اليونسىُّ:

---

(١) سورة الممتحنة: ٤.

(٢) سورة الطلاق: ٣.

(٣) سورة غافر: ٤٤.

(٤) سورة غافر: ٤٥.

﴿ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾(١).

وهو جو توحيد ﴿ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ ﴾، وتنزيه ﴿ سُبْحَانَكَ ﴾، ونسبة الظلم بمعناه العام إلى النفس ﴿ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾(٢).

ومنها جو الرضا:

﴿ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾(٣).

ومنها جو الحب:

﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾(٤).

وأسمى الأجواء فى المناجاة ـ على الإطلاق ـ إنما هو جو رسول الله ﷺ، وهو جو «الإسلام»: إسلام النفس لله.

إنه جو رسول الله ﷺ الذى عبر الله سبحانه وتعالى عنه صراحة فى القرآن الكريم قائلاً:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾(٥).

إنه الجو الذى بينه رسول الله ﷺ حينما سئل عن الإسلام فقال: «أن يُسْلِمَ للهِ قلبُكَ».

فإذا ما أسلم الإنسان قلبه لله انطوت فى ذلك كل المقامات: التوبة الدائمة، الورع، الزهد، التوكل، التفويض، الفناء، المحبة.

---

(١) سورة الأنبياء: ٨٧.
(٢) سورة الأنبياء: ٨٧.
(٣) سورة المائدة: ١١٩.
(٤) سورة المائدة: ٥٤.
(٥) سورة الأنعام: ١٦٢، ١٦٣.

إن إسلام القلب لله أساس المقامات وذروتها، وهو المعنى الحقيقى لكلمة «إسلام».

ومن هنا كانت مناجاة رسول الله ﷺ لا تَعْدلُها مناجاة.

ولقد تابع المسلمون رسول الله ﷺ، فى إسلام القلب لله، وتابعوه فى مناجاته، واختلفت مناجاتهم باختلاف منازلهم.

وإن الصوفية، بل وغير الصوفية يُعجبون - كل العُجْب - بمناجاة ابن عطاء الله السكندرى، ويُعجبون - كل الإعجاب - بمناجاة أبى الحسن الشاذلى متمثلة فى أحزابه وأدعيته.

ونحن هنا نذكر مجموعة من مناجاة ذى النون المصرى، إنها تمثل درجته الروحية السامية، وسيرى القارئ بنفسه مدى السمو الذى بلغه ذو النون.

يروى أبو عثمان سعيد بن الحكم قال: سمعت ذا النون يقول:

« إلهى.. إنْ كان صَغُرَ فى جَنْبِ طاعتك عملى، فقد كَبُرَ فى جَنْبِ رجائك أملى ».

« إلهى .. كيف أنقلبُ من عندك محروماً، وقد كان حُسْنُ ظنى بك مَنُوطاً ».

« إلهى .. فلا تُبْطِلْ صِدْقَ رجائى لك بين الآدميين ».

« إلهى .. سمع العابدون بذكرك فخضعوا، وسمع المذنبون بحُسْن عفوك فطمعوا ».

« إلهى .. إنْ كانت أسقطتنى الخطايا من مكارم لطفكَ، فقد آنَسَنِى اليقين إلى مكارم عطفك ».

« إلهى .. إنْ أَمَنَتْنِى الغفلةُ من الاستعداد للقائك فقد نَبَّهَتْنِى المعرفةُ لكرم آلائك ».

« إلهى .. إنْ دعانى إلى النار أَليمُ عقابك فقد دعانى إلى الجنة جَزِيلُ ثوابك ».

ويقول :

أَمُـوتُ وَمَا مَـاتَتْ إِلَيْكَ صَـبَـابَتِى ... ولا قُضِيَتْ مِنْ صِدْقِ حُبِّكَ أَوْطارِى
مُنَاىَ المُـنَى كُلُّ المُنَى أَنْتَ لِـى مُنًى ... وَأَنْتَ الغِنَى كُلُّ الغِنَى عِنْدَ افْتِقَارِى
وَأَنْتَ مَدَى سُـؤْلِى وَغَايَةُ رَغْـبَتِى ... وَمَوْضِعُ آمَـالِى وَمَكْنُونُ إِضْـمَارِى

* * *

تَحَـمَّلَ قَـلْـبِى فِـيكَ مَـا لاَ أَبُثُّـهُ ... وإِنْ طَالَ سُقْمِى فِيكَ أَوْ طَالَ إِضْرَارِى
وَبَيْنَ ضُلُوعِى مِنْكَ مَا لَكَ قَدْ بَدَا ... وَلَمْ يَـبْـدُ بَـادِيهِ لأَهْلٍ وَلاَ جَـارِ
وَلِى مِنْكَ فِى الأَحْشَاءِ دَاءٌ مُخَامِرٌ ... فَـقَـدْ هَدَّ مِنِّى الرُّكْنَ وانبتَّ إِسْـرَارِى

* * *

أَلَسْتَ دَلِيلَ الرَّكْبِ إِنْ هُمْ تَحـيَّرُوا ... وَمُنْقِـذَ مَنْ أَشْـفَى عَلَى جُـرُفٍ هَارِ
أَنَرْتَ الهُـدَى للمُهْـتَـدِينَ وَلَمْ يَكُنْ ... مِنَ النُّورِ فِى أَيْدِيهِم عُشْرُ مِـعْشَارِ
فَنَلْنِى بِعَـفْـوٍ مِـنْكَ أَحْظَى بِقُـرْبِهِ ... أَغِـثْنِى بِيُسْـرٍ مِنْكَ يَطْرُدُ إِعْسَـارِى

* * *

وعن عبد القدوس بن عبد الرحمن الشامى ، قال :

سمعت أبا الفيض ذا النون يقول :

« **إلهى .. من ذا الذى ذاق طعم حلاوة مناجاتك ، فَألْهَاهُ شىءٌ عن طاعتك ومرضاتك ؟ ..**

أم من ذا الذى ضمنتَ له النصر فى دنياه وآخرته ، فاستنصرَ بمن هو مثله فى عجزه وفاقته ؟ ..

أم من ذا الذى تكفَّلتَ له بالرزق فى سقمه وصحته. فاسترزقَ غيرك بمعصيتك فى طاعته ؟ ..

أم من ذا الذى عَرَّفته آثامه، فلم يحتمل حوفاً منك مؤونة فطامه ؟..

أم منْ ذا الذى أطْلَعْتَهُ على ما لديك ، ثم انقطع إليك من كرامته ، فأعرضَ عنك صَفْحاً إخلاداً إلى الدَّعة فى طلب راحته ؟ ..

أم من ذا الذى عرف دنياه وآخرته ، فآثر الفانى على الباقى؛ لحمقه وجهالته ؟ ..

أم من ذا الذى شرب الصافى من كأس محبتك ، فلم يستبشرْ بقَوارع محنتك ؟ ..

أم من ذا الذى عرف حُسْنَ اختيارك، وقُدرتك على نفعه وضُرِّه، فلم يكتفِ بك عن علم غيرك به، ولم يستغنِ بك عن قدرة عاجز مثله؟!» . .

وعن سعيد بن الحكم القنفذى ، قال : سمعت ذا النون يقول :

« **كيف لا أبتهجُ بكَ سروراً ؛ وقد كنتُ أكْدَحُ ببابكَ حتى جعلتنى من أهل التوحيد** » .

وعن عبد القدوس بن عبد الرحمن الشامى ، قال :

سمعت أبا الفيض ذا النون بن إبراهيم المصرى يقول :

« إلهى .. وسيلتى إليك نعمك علىَّ، وشفيعى إليك إحسانك إلىَّ.

إلهى .. أدعوك فى المَلأ (الملأ) كما تُدْعَى الأرباب ، وأدعوك فى الخلا (الخلاء) كما تُدعى الأحباب .. أقول فى الملا : يا إلهى .. وأقول فى الخلا : يا حبيبى.

أرغب إليك ، وأشهد لك بالربوبية ، مُقِرّاً بأنك ربى، وإليك مَرَدِّى.

ابتدأتنى برحمتك من قبل أن أكون شيئاً مذكوراً وخلقتنى من تراب ثم أسكنتنى الأصلاب ، ونقلتنى إلى الأرحام..

أنشأت خلقى من مَنِىٍّ يُمْنَى،ثم أسكنتنى فى ظلمات ثلاث ، بين دم ولحم ملتاث، وكوَّنتنى فى غير صورة الإناث.

ثم نشرتنى إلى الدنيا تامّاً سوياً ، وحفظتنى فى المهد طفلاً صغيراً صبياً ، ورزقتنى من الغذاء لبناً مَرِيّاً ، وكَلَّفتنى حُجور الأمهات ، وأسكنتَ قلوبهنَّ رقَّةً لى وشفقة علىَّ ، ورَبَّيتنى بأحسن تربية ، ودبَّرتنى بأحسن تدبير ، وكَلأتَنِى من طوارق الجنِّ ، وسلَّمتنى من شياطين الإنس، وصُنْتنى من زيادة فى بدنى تشيننى، ومن نقص فيه يعيبنى ، فتباركتَ ربى وتعاليت يا رحيم.

فلما استهللتُ بالكلام أتممتَ علىَّ سوابغَ الإنعام، وأنبتَّنى زائداً فى كل عام ، فتعاليتَ يا ذا الجلال والإكرام.

حتى إذا مَلَّكتنى شأنى ، وشددتَ أركانى ، أكملتَ لى عقلى ، ورفعتَ حجاب الغفلة عن قلبى ، وألهمتنى النظر فى عجيب صنائعك ، وبدائع

عجـائبـك ، وأوضحتَ لى حجتـك ، ودللتـنى على نفسـك ، وعـرَّفتنى ما جاءت به رسلك، ورزقتنى من أنواع المعاش وصنوف الرِّيَاش بِمَنِّكَ العظيم ، وإحسانك القديم ، وجعلتنى سَوِيّاً.

ثم لـم ترضَ لى بنعـمة واحدة دون أن أتمـمت علىَّ جـميع النعم ، وصرفت عنِّى كل بلوى، وأعلمتنى الفجور لأجتنبه، والتقوى لأقترفها، وأرشدتنى إلى ما يقرِّبنى إليك زُلْفَى ، فإن دعوتك أجبتنى، وإن سألتك أعطيتنى ، وإن حمدتك شكرتنى ، وإن شكرتك زِدتنى.

إلهى .. فأىُّ نعمك أُحصى عدداً ؟

.. وأى عطائك أقوم بشكره ؟

.. كم أسبغتَ علىَّ من النعماء ؟

.. وكم صرفتَ عنِّى من الضرَّاء ؟

إلهى .. أشهد لك بما شهد لك باطنى وظاهرى وأركانى.

إلهى .. إنى لا أطيق إحصاء نعمك ، فكـيف أطيق شكرك عليها ، وقد قلت وقولك الحق:

﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا ﴾(١) ؟ . .

أم كيف يـستغـرق شكرى نعمـك ، وشكرك من أعظم النعم عندى ، وأنت المنعم به علـىَّ ؟.. كمـا قلت سَـيِّـدى : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾(٢) . . وقد صدَّقتُ قولك ؟

---

(١) سورة النحل : ١٨ .
(٢) سورة النحل : ٥٣ .

إلهى وسَيِّدى .. بلَّغتْ رسلك بما أنزلت إليهم من وحيك ، غير أنى أقول بجهدى ، ومنتهى علمى ، ومجهود وسعى ، ومبلغ طاقتى:

الحمد لله على جميع إحسانه ، حمداً يعدل حمد الملائكة المقرَّبين ، والأنبياء المرسلين، حتى تقيم قلبى بين ضياء معرفتك، وتذيقنى طعم محبتك ، وتبرِّد بالرضا منك فؤادى وجميع أحوالى ، حتى لا أختار غير ما تختاره ، وتجعل لى مقاماً بين مقامات أهل ولايتك ، ومضطرباً فسيحاً فى ميدان طاعتك.

إلهى .. كيف أسترزق من لا يرزقنى إلا من فضلك ؟ أم كيف أسخطك فى رضا من لا يقدر على ضُرِّى إلا بتمكينك ؟!

فيا مَنْ أسأله إيناساً به ، وإيحاشاً من خلقه ، ويا من إليه التجائى فى شدتى ورجائى .. ارحمْ غربتى ، وهَبْ لى من المعرفة ما أزداد به يقيناً ، ولا تَكِلْنِى إلى نفسى الأمَّارة بالسوء طرفةَ عين » .

وحدثنا سعيد بن الحكم، قال : سمعت ذا النون يقول :

خرجت فى طلب المناجاة، فإذا أنا بصوت، فعدلت إليه، فإذا أنا برجل قد غاص فى بحر الوَلَه، وخرج على ساحل الكَمَه، وهو يقول فى دعائه :

« أنت تعلم أنى لأعلمُ أن الاستغفار مع الإصرار لؤم ، وأن تركى الاستغفار مع معرفتى بسعة رحمتك لَعَجْزٌ.

إلهى .. أنت الذى خصصتَ خصائصك بخالص الإخلاص ، وأنت الذى سلَّمْتَ قلوب العارفين من اعتراض الوسواس ، وأنت الذى آنَسْتَ

الآنسين من أوليائك ، وأعطيتهم كفاية رعاية المتوكلين عليك ، تكلؤهم فى مضاجعهم وتَطَّلِعُ على سرائرهم ، وسِرِّى عندك مكشوف وأنا إليك ملهوف » .

قال : ثم سكتَ فلم أسمع له صوتاً .

ثم سمعته يقول :

« لك الحمد يا ذا المَنِّ والطَّوْل ، والآلاء والسعة ، إليك توجهنا ، وبفنائك أنخنا ، ولمعروفك تعرَّضنا ، وبقربك نزلنا ، يا حبيب التائبين ، ويا سرور العابدين ، ويا أنيس المنفردين ، ويا حِرْزَ اللاجئين، ويا ظَهْر المنقطعين، ويا من حَبَّبَ إليه قلوب العارفين، وبه أنِسَتْ أفئدة الصِّدِّيقين ، وعليه عَكَفَتْ رهبة الخائفين.

يا من أذاق قلوب العابدين لذيذ الحمد ، وحلاوة الانقطاع إليه.

يا من يَقبلُ من تاب، ويعفو عَمَّنْ أناب ، ويدعو المولِّين كَرَماً، ويرفع المقبلين إليه تفضُّلاً.

يا من يتأنَّى على الخاطئين ، ويَحْلُمُ عن الجاهلين.

يا من حَلَّ عقدة الرغبة من قلوب أوليائه ، ومحا شهوة الدنيا عن فكر قلوب خاصته وأهل محبته ، ومنحهم منازل القرب والولاية.

ويا من لا يُضيع مطيعاً ، ولا يَنْسَى حبيباً.

يا من مَنَحَ بالنَّوال ، ويا مَنْ جَادَ بالاتصال ، يا ذا الذى استدركَ بالتوبة ذنوبنا ، وكشفَ بالرحمة غمومنا ، وصَفَحَ عن جُرمنا بعد جهلنا، وأحسنَ إلينا بعد إساءتنا، يا آنِسَ وحشتنا، ويا طبيب سُقمنا.

يا غياثَ من أسقط بيده ، وتمكَّن حبل المعاصى من عنقه . وفرَّ حَذَر الحياء عن وجهه . هَبْ خدودنا للتراب بين يديك . يا خيرَ من قَدَر، وأرْأفَ مَنْ رَحِمَ وعَفَا ».

وكان ذو النون يقول فى مناجاته :

« يا واهبَ المواهب ، ومُجزلَ الرغائب ، أعوذ بك من النزول بعد الوصول ، ومن الكدر بعد الصفاء ، ومن الوحشة بعد الأنس . ومن طائف الحسرة لعارض الفترة ، ومن تغيير الرضا » . .

وروى ابن باكويه عن يوسف بن الحسين قال : كان من مناجاة ذى النون أنه كثيراً ما كان يقول :

« اللهمَّ بحياتك الدائمة القائمة على كل نفس بما كسبتْ ، أكْسُ وجهى حياءً ، وارزقنى طاعةً أُطعْكَ بها فى الدنيا » .

وكان يقول :

« لَئِنْ مددتُ يدىَّ إليك داعياً .. لطالما كفيتنى ساهياً ، كيف يَشْقَى بالدعاء من كُفِىَ قبل الدعاء ؟ ..

اللهمَّ حَسْبى من سؤالى عِلْمُك بحالى » .

وقال : وسمعت ذا النون يقول :

« لَئِنْ مددتُ يدى إليك داعياً ، لطالما كفيتنى ساهياً.

.. أأقطع منك رجائى بما عملتْ يداى ؟

.. حَسْبِى مِنْ سؤالى عِلْمُكَ بحالى » .

وقال :

« **إلهى .. إنَّ الشيطان لك عَـدُوٌّ ولنا عَدُوٌّ، ولم تغظه بشىء أَنْكَى له من عفوك عنا ، فاعفُ عنَّا** » .

وعن عبد الله بن محمد بن ميمون ، قال : سمعت ذا النون يقول فى مناجاته :

« **سَيِّدى؛ زمانٌ مكيد،وبلاءٌ عتيد، وجهدٌ جهيد، وأملٌ بعيد، وشيطانٌ مَريد ، وعَيْشٌ كَدود ، وعدوٌّ حسود ، وخُلْفٌ موجود ، ووفاقٌ مفقود ، فكيف النجاة إلا بعصمتك أيها المعبود** » .

وعن محمد بن عبد الملك ، قال : سمعت ذا النون يقول :

« **اللهمَّ اجعلنا من الذين استنبطوا الحَـذَر ، وقرأوا صُحف الخطايا ، وأكثروا [من التفكيـر فى] دواوين الذنوب ، فأورثهم الفكرة الصالحة فى المنقلَب** »(١) .

وعن أحمد بن على البغدادى ، قال :

كنت عند ذى النون وعنده جماعة من المتعلمين ، فقالوا :

ـ ادعُ لنا يا أبا الفيض ؟ . .

فقال لهم :

« **جَعَلَكم الله من الذين سَلكوا خلافَ دار الظالمين ، واستوحشوا من مُؤانسة الجاهلين ، واجتنبوا ثمـار الكَدِّ ، فورَّثهم حُسْنَ المآب ، فقطعوا الأحزان ، ووصلوا إلى الجنان ، وأمنوا من البَوَار، فاستقرَّتْ بهم الدار، بقُرب المَلِك الجبَّار** » .

---

(١) أخرجه أبو نعيم .

وعن محمد بن أحمد الشمشاطي ، قال : سمعت ذا النون يقول :

« إن لله عباداً مَلأ قلوبهم من صفاء محبته وهيَّج أرواحهم بالشوق إلى رؤيته ، فسبحان من شوَّق إليه أنفسهم ، وأدنى منه هِمَمَهم ، فهو مؤنس وحشتهم وطبيب أسقامهم.

إلهى .. لك تواضعتْ أبدانهم ، وإلى الزيادة منك انبسطتْ أقدامهم ، فأذقتهم من حلاوة الفهم ما طَيَّبْتَ به عيشهم ، وأَدَمْتَ به نعيمهم ، ففتحتَ لهم أبواب سماواتك ، وأَبَحْتَ لقلوبهم الجَولان فى ملكوتك.

عليك مُعَوَّلُ شوق المشتاقين ، وإليك هَفَتْ قلوب العارفين ، وبك أَنِسَتْ قلوب الصادقين ، وعليك عكفتْ رهبة الخائفين ، وبك استجارتْ أفئدة المقصِّرين ، فهم لا يسكنون إلى محادثة الفكر فيما لا يعنيهم ، ولا يفترون عن التعب والسهر.

يناجون ربَّهم بالسنتهم، ويتضرعون إليه بمسكنتهم، يسألونه العفو عن زَلاَّتهم ، والصَّفْح عما وقع من الخطايا فى أعمالهم ، فهم الذين ذابتْ قلوبهم بذكر الأحزان ، وخدموه خدمة الأبرار الذين خفيتْ أعمالهم عن الحَفَظَة ، فوقع بهم ما أمَّلوه من عفوه ، ووصلوا إلى ما أرادوا من محبته ، فهم ـ والله ـ الزهَّاد والعبَّاد ، الذين حملوا أثقال الزمان فلم يتألموا ، وثبتوا فى مواطن الامتحان فلم تزلّ أقدامهم عن موضعها ، حتى مَلَّهم الدهر ، وهابتهم المصائب ، وذهبوا بالصدق والإخلاص عن الدنيا.

إلهى .. فبك نالوا ما أمَّلوا ؛ إذ كنت لهم ـ سَيِّدى ـ مؤيداً ، ولعقولهم مُعيناً ، حتى أنطقتهم بلسان الصادقين فى علمك ، وأوصلتهم إلى

منازل المخلصين فى معرفتك ، فهم إلى وعد سَيِّدهم مطيعون ، وإلى ما عنده ناظرون.

ذهبت الآلام من أبدانهم لما أذاقهم من حلاوة مناجاته ، ولما أذاقهم من طرائف الفوائد من عنده ، فيا حسنهم والليل قد أقبل بِحَنَادِس[1] ظلمته ، وهدأتْ عنهم أصوات خليقته ، وقد قدموا إلى خدمة سَيِّدهم الذى وفقهم لما يعلمون ويؤملون ، فخطر على سرِّهم أن ذلك المقام الذى يقومون فيه لرب العالمين ، فانخلعتْ قلوبهم ، وذهلتْ عقولهم ، وصاروا كالمعلَّق بين السماء والأرض...أخيارٌ أبرارٌ ؛ أَنِسُوا بيقين المعرفة ، وسكنوا إلى روح الحياة والمراقبة »[2].

وقال :

« أسألك باسمكَ الذى ابتدعتَ به عجائب الخَلْق أن تجعلنا من الذين شربوا بكأس الصفا ؛ فأورثهم الصبر على طول البلا ، حتى تولَّهتْ قلوبهم فى الملكوت ، وجَالَتْ بين سائر حُجُب الجبروت ، ومَالَتْ أرواحهم فى ظل برد نسيم المشتاقين، الذين أناخوا فى رياض الراحة ، ومَعْدِن العزِّ ، وعَرَصَات المخلَّدين » .

وقال ذو النون :

« إلهى .. ما أُصغى إلى صوت حيوان ، ولا حفيف شجر، ولا خرير ماء، ولا ترنُّم طير، ولا تنعُّم ظل ، ولا دوىِّ ريح ، ولا قعقعة رعد ؛ إلا

---

(١) الحَنْدس : الظلمة ، والليل الشديد الظلمة . وأسود حَنْدس : شديد السواد . والجَمع : حنادس . والحنادس : ثلاث ليال فى آخر الشهر .

(٢) أخرجه أبو نعيم .

وجدتها شاهدة بوحدانيتك، دالة على كمال عزك، وعلى أنه ليس كمثلك شيء .. وأنت غالبٌ لا تُغلَب ، وعليمٌ لا تجهل ، وحليمٌ لا تسفه ، وعدلٌ لا تجور، وصادقٌ لا تكذب.

إلهي .. فإني أعترف بما دل عليه صُنعك ، وشهد له فعلُك ، فَهَبْ لي ـ اللهمَ ـ طلبَ رضاك برضاى عنك ، ومَسَرَّةَ الوالد لولده بذكرك لحبي لك ، ووقارَ الطمأنينة وتَطلُّبَ القرب منك..

إلهي .. عَرِّفني عيوب نفسي وافضحها عندى للتنزُّه عنها .. وأبتهل إليك بين يديك خاضعاً ذليلاً في أن تغسلني منها، واجعلني من عبادك الذين شهدت أبدانهم ، وغابت قلوبهم : تجول في ملكوتك ، وتتفكر في عجائب صنعك، وترجع بفوائد معرفتك وعوائد إحسانك. قد ألبستهم خِلَعَ محبتك ، وخلعت عنهم لباس التزيُّن بغيرك.

إلهي .. لا تتركْ بيني وبين أقصى مرادك منّي حجاباً إلا هتكته، ولا حاجزاً إلا رفعته ، ولا وعراً إلا سهّلته ، ولا باباً إلا فتحته ، وبَرِّدْ بالرضا منك فؤادي وجميع أحوالي ، حتى لا أختار غير ما تختاره ، وتجعل لي مقاماً بين مقامات أهل ولايتك، ومضطرباً فسيحاً في ميدان طاعتك.

إلهي .. كيف أسترزق من لا يرزقني إلا من فضلك ؟..

أم كيف أستنصر من لا ينصرني إلا بك ؟ ..

أم كيف أستخطك في رضا من لا يقدر على ضُرّي إلا بتمكينك ؟..

فيا من أسأله إيناساً وأماناً من خلقه .. ويا من إليه ألجأ في شدتي ورخائي ، ارحمْ غربتي ، وهَبْ لي من المعرفة ما ازداد به يقيناً.. ولا تكلْني إلى نفسي الأمّارة بالسوء طرفةَ عين » .

وعن عثمان بن محمد العثمانى قال : أنشدنى العباس بن أحمد لذى النون المصرى :

إذَا ارْتَحَلَ الكِرَامُ إلَيْكَ يَوْماً ... لِيَلْتَمِسُوكَ حَالاً بَعْدَ حَالِ

فَإنَّ رِحَالَنَا حَطَّتْ لِتَرْضَى ... بِحِلْمِكَ عَنْ حُلُولٍ وَارْتِحَالِ

أنَخْنَا فِى فِنَائِكَ يَا إلَهِى ... إلَيكَ مُعَرِّضِينَ بلا اعْتِدَالِ

فَشأنُنَا كَيْفَ شِئْتَ وَلاَ تَكِلْنَا ... إلى تَدْبِيْرِنَا يَا ذَا المَعَالِى

وعن يوسف بن الحسين ، قال : سمعت ذا النون يقول :

« **أقسمتُ بفعلك المحمود ، وعهدك المعقود..ألاّ أتخذَ دونك خليلاً** »..

وسمعته يقول :

« **أشرقَ لنوره السموات ، وأنارَ لوجهه الظلمات ، حَجَبَ جلاله عن العيون ، ووَاصَلَ به معارف القلوب ، ونَاجَاهُ على عرشه ألسنةُ الصدور.**

إلهى .. تسبِّح لك كل شجرة ، ولك تقدِّس كل مَدَرَة ، بأصوات خفيَّة ونغمات زكيَّة.

إلهى .. قد سَعَتْ بين يديك قدمى ، ورفعتُ إليك بصرى، وسَعَتْ إلى مواهبك يدى ، وصرخ إليك صوتى ، وأنت الذى لا يُضجره النِّداء ، ولا يخيب من دعاك.

إلهى .. هَبْ لى بصراً يرفعه إليك صِدْقُه ، فإنَّ من تعرَّف بك غيرُ مجهول ، ومن يلوذ بك غيرُ مَخذول ، ومن يبتهج بك لَمسرور ، ومن يعتصم بك لَمنصور »(١).

(١) أخرجه أبو نعيم .

وعن الحسن بن على بن خلف قال : سمعت إسرافيل يقول : سمعت ذا النون يقول :

« **يا رب ، أنت الذى دخل فى رحمتك كل شىء ، فلم تَضِقْ إلا عَمَّن ارتحل به الشك إلى جحدك** » .

وفى «الحلية» قال ذو النون :

« **اللهمَّ اجعلنا من الذين تفكَّروا ؛ فاعتبروا.. ونظروا ؛ فأبصروا .. وسمعوا ؛ فتعلَّقت قلوبهم بالمنازعة إلى طلب الآخرة .. حتى أناختْ وانكسرتْ عن النظر إلى الدنيا وما فيها .. ففتقوا بنور الحِكَم ما رتقته ظُلَمُ الغَفْلاَت .. وفتحوا أبواب مغاليق العمى بأنوار مفاتيح الضياء .. وعمَّروا مجالس الذاكرين بحسن استدامة الثناء.**

اللهمَّ اجعلنا من الذين أَسْبَلْتَ عليهم سُتُورَ عصمة الأولياء .. وحصَّنتَ قلوبهم بطهارة الصفاء .. وزيَّنتها بالفهم والحياء ؛ فطيَّرتَ همومهم فى ملكوت سمواتك حجاباً حجاباً ؛ حتى انتهت إليك فرددتها بطرائف الفوائد.

اللهمَّ اجعلنا من الذين سَهل عليهم الطاعة .. ومُكَّنوا من أزمة (١) **التقوى .. ومُنحوا بالتوفيق منازل الأبرار ؛ فزُيِّنوا وقُرِّبوا وأُكرموا بخدمتك** » .

---

(١) أزمة التقوى ، أى : لزومها والمواظبة عليها .

وقال :

« إنـك ملكٌ مُقْتَدِر، وأنا عبدٌ مُفْـتَقِر، أسألكَ العفـوَ تذلُّلاً ؛ فأعْطِـنِيـهِ تفضُّلاً » .

وقال :

« إلهى .. إن كان صغـرَ فى جنب طاعتك عملى ، فقـد كبرَ فى جنب رجائك أملى.

إلهى .. أنا عبدك المسكين ، كيف أنقلب من عندك مـحروماً ، وقد كان حسن ظنى بجودك أن تقبلنى بالنجاة مرحومًا.

إلهى .. سمع العـابدون بذكرك فخـضعوا ، وسمع المذنبـون بحسن عفوك فطمعوا.

إلهى .. إن كـانت أسقطتنى الخطـايا لَدَيكَ ؛ فاصْـفَحْـها لى بحـسن توكُّلى عليك .

إلهى .. إن كـانت أسـقطتنى الخطايا من مكارم لطفك ، فـقـد آنسنى اليقين إلى مكارم عطفك ».

وعن على بن الهيثم المصرى ، قال :

سمعت ذا النون المصرى العابد أبا الفيض يقول :

« اللهـمَّ اجعـلنا من الذين جَـازُوا ديار الظالمين ، واسـتوحشـوا من مؤانسة الجـاهلين ، وشَابُوا ثمرة العمل بنور الإخلاص ، واسْـتَقَوا من عين الحكمة، وركبوا سفينة الفطنة، وأقلعوا بريح اليقين ، ولجَّجوا فى بحر النجاة ، ورَسَوا بشطِّ الإخلاص .

اللهمَّ اجعلنا من الذين سَرَحَتْ أرواحهم فى العُلاَ، وحَطَّتْ هِمَمُ قلوبهم فى عاديات التُّقَى، حتى أناخوا فى رياض النعيم، وجَنَوا من رياض ثمار التسنيم، وخاضوا لُجَّةَ السرور، وشربوا بكأس العيش، واستظلُّوا تحت العرش فى الكرامة.

اللهمَّ اجعلنا من الذين فتحوا باب الصبر ، وردموا خنادق الجَزَع ، وجَازوا شديد العقاب ، وعبروا جسر الهوى، فإنه تعالى يقول:

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾(١).

اللهمَّ اجعلنا من الذين أشارتْ إليهم أعلامُ الهداية، ووضحَ لهم طريقُ النجاة ، وسلَكوا سَبيلَ إخلاص اليقين ».

وعن سعيد بن عثمان ، قال : سمعت ذا النون يدعو :

« اللهمَّ مَتِّعْ أبصارنا بالجَوَلان فى جلالك ، وسَهِّرْنَا عما نامت عنه عيون الغافلين ، واجعل قلوبنا معقودة بسلاسل النور ، وعَلِّقها بأطناب التفكُّر ، ونَزِّهْ أبصارنا عن مواقف المتحيِّرين ، وأطلقنا من الأسْر لِنَجُولَ فى خدمتك مع الجوَّالين.

اللهمَّ اجعلنا من الذين لخدمتك فى أقطار الأرض طلاَّباً، ولخصائص أصفيائك أصحاباً ، وللمريدين المعتكفين ببابك أحباباً » .

وعن محمد بن عبد الملك بن هاشم ، قال :

سمعت ذا النون المصرى يقول فى دعائه :

---

(١) سورة النازعات : ٤٠، ٤١.

« اللهمَّ إليك تقصدُ رغبتى ، وإيَّاك أسألُ حاجتى، ومنك أرجو نجاحَ طِلْبتى ، وبيدك مفاتيحُ مسألتى ، لا أسألُ الخيرَ إلا منك ، ولا أرجوه من غيرك ، ولا أيأسُ من روحك بعد معرفتى بفضلك ، يا من جمع كل شىء حكمتُه ، ويا من نفذ فى كل شىء حُكمه ، يا من الكريم اسمه ، لا أجد لى غيرك فأسأله ، ولا أثق بسواك فأمله ، ولا أجعل لغيرك مشيئة من دونك أعتصم بها ، وأتوكل عليه ، فمن أسأل إن جَهِلْتُكَ ؟ .. وبمن أثق بعد إذ عرفتك ؟

اللهمَّ إن ثقتى بك، وإن ألهتنى الغفلات عنك وأبعدتنى العثرات منك بالاغترار ، أنا نعمة منك، وأنا قدر من قدرك، أجرى فى نعمك ، وأسرح فى قدرك ، لا أزداد على سابقة علمك ، ولا أنتقص من عزيمة أمرك ، فأسألك يا منتهى السؤال ، وأرغب إليك يا موضع الحاجات ، أنْ تَهَبَ لى إيماناً أَقْدُمُ به عليك ... وأنْ تَهَبَ لى يقيناً لا تُوهنه شبهة إفْك ترحِّب به صدرى ، وتيسِّر به أمرى ، ويأوى إلى محبتك قلبى ، حتى لا ألهو عن شكرك ، ولا أنعم إلا بذكرك ، يا من لا تَمَلُّ حلاوة ذكره ألسنُ الخائفين ، ولا تَكِلُّ من الرغبات إليه مدامع الخاشعين ، أنت منتهى سرائر قلبى فى خفايا الكتم ، وأنت موضع رجائى بين إسراف الظلم.

من ذا الذى ذاق حلاوة مناجاتك ، فَلَهِيَ بمَرْضاةِ بَشَرٍ عن طاعتك ومرضاتك ؟

رَبِّ أفنيتُ عمرى فى شدة السهو عنك ، وأبليت شبابى فى سكرة التباعد منك ، ثم لم أستبطئ لك كَلاَءةً ومَنَعَةً فى أيام اغترارى بك ، وركونى إلى سبيل سخطك ، وعن جهل ـ يا رب ـ قرَّبْتَنى الغِرَّة إلى

غضبك ، أنا عبدك ابن عبدك ، قائم بين يديك ، متوسِّل بكرمك إليك ، فلا يزلنى عن مقامٍ أقمتنى فيه غيرُك ، ولا ينقلنى من موقف السلامة من نعمك إلا أنت ، أتنصل إليك مما كنت أواجهك به من قلة استحيائى من نظرك ، وأطلب العفو منك يا رب : إذ العفو نعمة لكرمك ، يا من يُعصَى ويُتاب إليه فيَرضى كأنه لم يُعصَ ، بكرم لا يُوصف ، وتحنُّن لا يُنعت ، يا حنَّانُ بشفقته ، يا متجاوزاً بعظمته ، لم يكن لى حَوْلٌ فأنتقل عن معصيتك إلا فى وقت أيقظتنى فيه لمحبتك ، وكما أردت أن أكون كنت ، وكما رضيت أن أقول قلت ، خضعت لك وخشعت لك.

إلهى .. لِتُعِزَّنِى بإدخالى فى طاعتك ، ولتنظرْ إلىَّ نظر من ناديته فأجابك، واستعملته بمعونتك فأطاعك، يا قريب لا تبعد عن المغترِّين، ويا ودودُ .. لا تَعْجَلْ على المُذْنِبين .. اغفرْ لى ، وارحمنى ، يا أرحمَ الراحمين » .

وعن عبد القدوس بن عبد الرحمن الشامى قال : سمعت ذا النون يقول :

« إلهى.. إن أهل معرفتك لما أبصروا العافية، ولمحوا بأبصارهم إلى منتهى العاقبة ، وأيقنوا بجودك وكرمك ، وابتدائك إيَّاهم بنعمك ، ودللتهم على ما فيه نفعهم ، إذ كنت متعالياً عن المضارِّ والمنافع ، استقلُّوا كثير ما قدَّموا من طاعتك ، واستصغروا عظيم ما اقترفوا من عبادتك ، واسْتَلاَنوا ما اسْتَوْعَرَهُ غيرُهم ، بذلوا المجهود فى طلب مرضاتك ، واستعظموا صغير التقصير فى أداء شكرك ، فنحلتْ لذلك

أبدانهم ، وتغيَّرتْ لذلك ألوانهم ، وخَلَتْ من غيرك قلوبُهم ، واشتغلتْ بذكرك عقولُهم وألسنتُهم ، وانصرفتْ عن خَلْقكَ إليكَ همومُهم ، وأنستْ وطابتْ بالخلوة فيك نفوسُهم ، لا يمشون بين العباد إلا هَوْناً ، وهم لا يسعون فى طاعتك إلا ركضاً.

إلهى .. فكما أكرمتهم بشرف هذه المنازل ، وأَبَحْتَهُمْ رفعة هذه الفضائل ، اعقدْ قلوبنا بِحَبْلِ محبَّتك ، ثم جَوِّلنا فى ملكوت سمواتك وأرضك ، واستدرجْنا إلى أقصى مرادك درجةً درجةً، واسلكْ بنا مسلكَ أصفيائك منزلةً منزلةً ، واكشفْ لنا عن مكنون علمك حجاباً حجاباً ، حتى ننتهى إلى رياض الأنس، ونجتنى من ثمار الشوق إليك، ونشرب من حياض معرفتك ، ونتنزَّه فى بساتين نشر آلائك ، ونستنقع فى غدران ذكر نَعمائك ، ثم ارْدُدْها إلينا بطرف الفوائد ، وامددها بتحف الزوائد ، واجعلِ العيون منا فوَّارة بالعَبَرات ، والصدور منا محشوَّة بالحرقات ، واجعلْ قلوبنا من القلوب التى سافرتْ إليك بالجوع والعطش ، واجعلْ أنفسنا من الأنفس التى زالت عن اختيارها لهيبتك.

أَحْيِنَا ما أحييتنا على طاعتك ، وتَوَفَّنَا إذا توفَّيتنا على مِلَّتِك راضين مرضيِّين ، هداة مهتدين ، غير مغضوب علينا ولا ضالين » .

وعن عثمان بن محمد العثمانى ، قال :

أنشدنى محمد بن عبد الملك بن هاشم لذى النون بن إبراهيم المصرى ، رحمه الله تعالى :

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْداً لا نَفَادَ لَهُ
حَمْداً يَفُوتُ مَدَى الإِحْصَاءِ وَالعَدَدِ

مِلْءَ السَّمَوَاتِ والأَرْضِينَ مُذْ خُلِقَتْ
وَوَزْنَهُنَّ وَضِعْفَ الضِّعْفِ فِي العَدَدِ

وَضِعْفَ مَا كَانَ أَوْ مَا قَدْ يَكُونُ إِلَى
يَوْمِ القِيَامَةِ أَوْ يَفْنَى مَدَى الأَبَدِ

وَضِعْفَ أَنْعُمِهِ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ
وَكُلِّ نَفْسَةِ نَفْسٍ وَاكْتِسَابِ يَدِ

شُكْراً لِمَا خَصَّنَا مِنْ فَضْلِ نِعْمَتِهِ
مِنَ الهُدَى وَلَطِيفِ الصُّنْعِ وَالرِّفْدِ

رَبٌّ تَعَالَى .. فَلاَ شَيْءٌ يُحِيطُ بِهِ
وَهُوَ المُحِيطُ بِنَا فِي كُلِّ مُرْتَصَدِ

لاَ الأَيْنَ والحِيْنَ والكَيْفَ يُدْرِكُهُ
وَلا يُحَدُّ بِمِقْدَارٍ وَلاَ أَمَدِ

وَكَيْفَ يُدْرِكُهُ حَدٌّ وَلَمْ تَرَهُ
عَيْنٌ وَلَيْسَ لَهُ فِي المِثْلِ مِنْ أَحَدِ

أَمْ كَيْفَ يَبْلُغُهُ وَهْمٌ بِلا شَبَهِ
وَقَدْ تَعَالَى عَنِ الأَشْبَاهِ وَالوَلَدِ

مَنْ أَنْشَـأَ الشَّـيْءَ قَبْلَ الكَوْنِ مُـبْتَـدِعاً
مِنْ غَـيْـرِ شَيْءٍ قَـدِيمٍ كَـانَ فِى الأَبَدِ

وَدَهَّرَ الدَّهْـرَ وَالأَوْقَـاتِ وَاحْـتَـكَمَتْ
بِمَـــا يَشَـــاءُ فَلَـمْ تَنْقُصْ وَلَـمْ تَزِدِ

إِذْ لاَ سَـمَـــاءٌ وَلاَ أَرْضٌ وَلاَ شَـبَحٌ
فِى الكَوْنِ سُـبْحَـانَهُ مِنْ قَـاهِرٍ صَمَـدِ

مَـا ازْدَادَ بِالخَلْقِ مُلْكاً حِـيْنَ أَنْشَـأَهُمْ
وَلاَ يُرِيدُ بِـهِمْ دَفْـعـاً لِمُـضْطَهِـدِ

وَكَـيْفَ وَهْوَ غَنِيٌّ لا افْـتِـقَـارَ بِهِ
والخَلْقُ تَضْطَـرُّ بِالتَّـصْـرِيفِ وَالأَدَدِ

وَلَمْ يَدَعْ خَلْقَ مَـا لَمْ يَبْدُ خِلْقَـتُـهُ
عَـجْـزاً عَلَى سُـرْعَـةٍ مِنْهُ وَلاَ تُؤَدِ

إِحَـاطَـةٌ بِجَـمِـيعِ الغَـيْبِ عَـنْ قَـدَرٍ
أَحْـصَى بِهَـا كلَّ مَـوْجُـودٍ وَمُفْـتَـقَـدِ

وَكُلُّهُمْ بِاضْـطِرَارِ الفَـقْـرِ مُـعْـتَـرِفٌ
إِلَى فَـوَاضِلِهِ فِـى كُلِّ مُـعْـتَـمَـدِ

العَـالِمُ الشَّيْءَ فِى تَصْـرِيفِ حَـالَتِـهِ
مَـا عَـادَ مِنْهُ وَمَـا يَمْـضِى فَلَمْ يَعُـدِ

وَيَعْلَمُ السِّرَّ مِنْ نَجْوَى القُلُوبِ وَمَا
يَخْفَى عَلَيْهِ خَفِيٌّ جَالَ فِى خَلَدِ

وَيَسْمَعُ الحِسَّ مِنْ كُلِّ الوَرَى وَيَرَى
مَدَارِجَ الذَّرِّ فِى صَفْوَانِهِ الجَلَدِ

وَمَا تَوَارَى مِنَ الأَبْصَارِ فِى ظُلَمٍ
تَحْتَ الثَّرَى وَمَرَارِ الغَمْرِ والثَّمَدِ(١)

الأَوَّلُ الآخِرُ الفَرْدُ المُهَيْمِنُ لَمْ
يَعْزُبْ وَلَمْ يُنْكَرْ لِلْقُرْبِ وَالبُعْدِ

دَانٍ عَلَى عِلْمٍ قَدِيمٍ لاَ زَوَالَ لَهُ
وَلَمْ يَزَلْ أَزَلِيّاً غَيْرَ ذِى فَقْدِ

وَجَلَّ فِى الكُنْهِ عَنْ وَصْفِ الصِّفَاتِ وَعَنْ
مَقَالِ ذَوِى الشَّكِّ وَالإِلْحَادِ وَالعِنْدِ

مَنْ لاَ يُجَازَى بِنُعْمَى مِنْ فَوَاضِلِهِ
وَلَمْ يَنَلْهُ بِمَدْحٍ وَصْفُ مُجْتَهِدِ

مُسَبَّحٌ بِلُغَاتِ العَارِفِينَ بِهِ
لَمْ تَدْرِ مَا غَيْرَهُ رَبّاً وَلَمْ تَجِدِ

---

(١) الماء القليل.

الفَـالِقُ النُّوْرَ وَالظَّلْمَـاءَ وَهْيَ عَلَى
مَـا تَقَـاذَفَ بِـالأَمْـوَاجِ والزَّبَدِ

بَرَأَ السَّـمَـوَاتِ سَقْـفـاً ثُمَّ أَنْشَـأَهَا
سَـبْعـاً طِبَاقـاً بِلاَ عَـوْنٍ وَلاَ عَمَـدِ

تُقِـلُّهُـنَّ مَعَ الأَرْضِـينَ قُـــــدْرَتُهُ
وَكُـلُّ ذَلِـكَ لَـمْ يَثْـــقُلْ وَلَمْ يَـــؤُدِ

وَبَثَّ فِـيـهَـا صُنُوفـاً مِنْ بَدَائِعِـهِ
مِنَ الخَـلاَئِقِ مِنْ مَثْنَى وَمِنْ وَحَـدِ

مِنْ كُلِّ جِـنْسٍ بَرَا أَصْنَافَـــهُ وَذَرَا
أَشْـبَـاحَـهُ بَيْنَ مَكْسُـوٍّ وَمُنْجَـرِدِ

فِيـهَا المَلاَئِكُ بِالتَّسْـبِيحِ خَاضِـعَةٌ
لا يَسْـأَمُـونَ لِـطُوْلِ الدَّهْرِ وَالأَمَـدِ

وَصَيَّـرَ المَوْتَ فَوْقَ الخَلْقِ لاَ لَـجَأٌ
مِـنْـهُ وَلاَ هَـرَبٌ مِنْـهُ إِلَـى سَـنَـدِ

فَـالْكُـلُّ مَـيْتٌ وَكُلٌّ هَالِـكُونَ خَـلاَ
وَجْـهِ الإِلَهِ الكَرِيمِ الدَّائِمِ الصَّـمَـدِ

أَفْنَى القُـرُونَ وَأَفْنَى كُلَّ ذِى عُمُـرٍ
كَـعُـمْـرِ نُوحٍ وَلُقْـمَـانٍ أَخِى لَبَـدِ

يَا رَبُّ إنَّكَ ذُو عَـفْـوٍ وَمَـغْـفِـرَة
فَنَجِّنَا مِنْ عَـذَابِ المَوْقِفِ النَّكِدِ

وَاجْـعَلْ إلَى جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ مَـوْئِلَنَا
مَعَ النَّبِيِّـيْنَ وَالأَبْـرَارِ فِـى الخُـلْـدِ

سُـبْحَـانَ رَبِّـكَ رَبِّ العِـزِّ مِنْ مَلِـك
مَنِ اهْتَدَى بِهُـدَى رَبِّ العَالَمِينَ هُدِى

* * *